من ثمرات المطابع:

مقارنة بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن*

للأستاذ/ مصطفى الزرقاء

الفرق عظيم جداً بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن، في طريقة البيان العربي. فبينهما شقة واسعة لا يشبه أحدهما الآخر لدى أهل البصر باللغة وأساليبها، وبالمأثور المألوف من بيانها قديمه وحديثه.

وإن هذا التفاوت الكبير في الأسلوبين إذا أمعن الإنسان فيه النظر وكان ذا ملكة بيانية لا يترك لديه مجالاً للشك والريبة في أن الحديث النبوي والقرآن صادران عن مصدرين مختلفين.

فالحديث النبوي كما سنرى في نصوصه التي سنعرض أمثلتها قريباً جاء كله على الأسلوب المعتاد للعرب في التخاطب، تتجلى فيه لغة المحادثة والتفهم والتعليم والخطابة في صورها ومناهجها المألوفة لدى العرب، ويعالج جزئيات القضايا والمسائل ويجيب عنها، ويحاور ويناقش كما يتخاطب سائر الناس بعضهم مع بعض. ولكن يتميز من الكلام العربي المألوف بأن فيه لغة منتقاة غير نابية، وأن فيه إحكاماً في التعبير للمعاني المقصودة بأوجز طريق وأقربه دون حشو، مما استحق به تسميتَه بجوامع الكلم. فهو كلام عربي من الطراز المعتاد المألوف، لكنه على درجة عليا من أساليب البلغاء المعهودة.

الحديث النبوي جاء على المعتاد في لغة التخاطب عند العرب، تتجلى فيه الخطابة والمحادثة والتعلم

أما أسلوب القرآن فهو أسلوب مبتكر لا يجد الناظر فيه والسامع شبيهاً له فيما يعرف من كلام العرب وأساليبهم. يعالج الكليات، ويفرض من الأحكام، ويضرب الأمثال، ويوجه المواعظ، في عموم لا تشبهه العمومات المألوفة، وخطاب فيه من التجريد ما يجعل له طابعاً خاصاً منقطع النظير.

فلو أخذ قانون تشريعي وقورن بأحكام القرآن الآمرة الناهية لما كان فيه شبه في الأسلوب أصلاً، ولو اتحد موضوع الأمر والنهي فيهما.

وإذا أخذ كتاب تاريخ وقورن بما في القرآن من قصص تاريخي لما وجد أيضاً بينهما شبه في الأسلوب ولو أنهما عالجا قصة واحدة.

ولو أخذ كذلك كتاب مواعظ وأخلاق وقورن بما في القرآن من مواعظ لما كان بينهما أيضاً شبه أصلاً في الأسلوب ولو اتحد الموضوع.

وهكذا لا يمكن أن يجد الباحث كلاماً أو كتاباً في اللغة العربية يمكن أن يتحد أو يتشابه أسلوبه وأسلوب القرآن. فهو صورة جديدة مبتكرة في البيان العربي جارية على قواعد العرب وطريقتهم في التركيب، لكنه يختلف عنها كل الاختلاف فيما نسميه بالأسلوب، بحيث إنك لو خلطت سورة أو جملة آيات بمجموعة أخرى من الكلام العربي لاستطعت أن تميزها منها بسهولة.

مأثورة بليغة:

أما الحديث النبوي فكثيرا ما يشبه أسلوبه أسلوب سائر الأقوال والحكم المأثورة إذا كانت بليغة. ولذلك كثيراً ما توضع الأحاديث كذباً على لسان رسول الله عليه الصلاة والسلام فتشتبه من حيث لفظها ومعناها على السامع، ولا يمكن البحث عن أصالتها وصحتها إلا عن طريق السند.

ومن المسلم به لدى أهل البصر الأدبي أنه من المتعذر على الشخص الواحد أن يكون له أسلوبان في بيانه يختلفان اختلافاً كبيراً، أحدهما عن الآخر، ويجري كل منهما في ذاته على نسق متشابه، لا يختلف في درجة بلاغته وطريقته، ويختلف عن أسلوبه الآخر اختلافاً كلياً، فهذا مما لم يعهد في التاريخ الأدبي المعروف، بل إذا أراد أحد الكتاب أن يَخْرجَ عن الأسلوب الذي هو متميز فيه بأسلوب آخر فلا بد أن يظهر فيه التكلف، ولا يمكن أن يتقن ذلك الأسلوب الثاني، فما بالك بهذا التفاوت الكلي بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث.

فمن يتوهم من الأجانب أن القرآن هو مجموعة من تأليف النبي عليه الصلاة والسلام إلى جانب أحاديثه إنما منشأ وهمهم هذا عدم إمكانهم أن يتذوقوا الفارق العظيم بين الأسلوبين لكي يعرفوا إمكان وحدة المصدر فيهما أو اختلافه.

هذا الاختلاف الواسع المدى بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث النبوي الذي يوجب الحكم باختلاف مصدرهما يتجلى واضحاً لكل ذي إدراك في الأسلوب

(*) من كتاب: في الحديث النبوي، ط٢، دمشق، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

العربي، وذوق في لسان العرب من المقارنة بالأمثلة الواردة منهما في موضوع واحد:

فلو أننا أخذنا من القرآن آيات، ومن الحديث النبوي أحاديث في موضوع تلك الآيات نفسه، لرأينا بهذه المقارنة من اختلاف الأسلوبين الحاكم باختلاف المصدر ما فيه البرهان الكافي:

١ـ فلنأخذ مثلاً قول القرآن العظيم في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾.

ولننظر مقابله في المعنى نفسه قول النبي عليه الصلاة والسلام:

«لتأمرن بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليسلِّطن الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم».

٢ـ ولنأخذ مثلاً في موضوع الإخاء في الدين قول القرآن العظيم في سورة الحجرات:

﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾.

ولننظر مقابله في نفس المعنى قول النبي عليه السلام:

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه».

ومعنى (يسلمه) أن يتركه لعدوه فلا يحميه ولا يمنعه منه.

٣ـ ولنأخذ أيضاً قول القرآن العظيم في موضوع الإخاء الإنساني العام والتآلف والتفاضل بالتقوى والصلاح، لا بالعرق والنسب، ولا بالمال والنشب:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾.

ولننظر في المعنى نفسه أقوال النبي عليه الصلاة والسلام التالية:

«أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر[1] على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى».

«من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

«المؤمن آلف مألوف، ولا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤلَف».

٤ـ ولنأخذ أيضاً قول القرآن العظيم في ارتباط صلاح الحياة الاجتماعية بنظام العقوبة على الجنايات.

﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تعقلون﴾.

ولننظر في مقابله قول النبي عليه الصلاة والسلام:

«إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين صباحاً».

٥ـ ولنأخذ أيضاً قول القرآن في وجوب أداء الأمانة والحكم بالعدل:

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به، إن الله كان سميعاً بصيراً﴾.

ولننظر في مقابلة أقوال النبي عليه الصلاة والسلام:

«أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك».

«لا تُقدَّس أمة لا يقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف حقه من القوي غير مُتعتَع»[2].

الأسلوب القرآني مبتكر، يعالج الكليات، ويفرض الأحكام ويوجه المواعظ

بون كبير:

وهكذا إذا تقصينا الموضوعات والمعاني التي وردت في القرآن وفي الحديث معاً نجد بينهما في الأسلوب العربي هذا البون الكبير الذي يجزم معه كل ذي بصر وإنصاف أن شخصاً لا يمكن أن يصدر عنه هذان الأسلوبان معاً، ولكل منهما طابعه الخاص البعيد كل البعد عن الآخر، وكل منهما في ذاته وفي جميع أمثلته ونصوصه متشابه لا يختلف، بل يجري على غرار واحد، فيحافظ على طريقته المتميزة، وعلى اختلافه عن غيره ذلك الاختلاف الكبير.

وإنه ليتجلى من هذه الأمثلة المقارنة ومن نظائرها ما أشرنا إليه آنفاً من أن أسلوب الحديث النبوي هو أسلوب التخاطب العادي المألوف بين العرب في بيانهم وأحاديثهم ومحاوراتهم وحكمهم وأحكامهم ووصاياهم ونصائحهم، لا يخرج عن هذا السنن المألوف بينهم، وإنما يمتاز بأنه من جوامع الكلم ومن حكيم البيان وفصيح اللغة، وبخلوّه من الحشو ومن الصور الخطابية العاطفية التي تعتمد على العاطفة وحدها دون العقل. وبتعبير آخر: إنه يتجلى في أسلوب الحديث النبوي العقلُ الناطق بأبلغ وأوجز تعبير معتاد. أما أسلوب القرآن فيتجلى فيه الابتكار الذي لم يعهد له مثيل، ولا يشبهه شيء من كلام العرب في طرائق بيانه ومناهج خطابه.

اختلاف الشخصية التي ينم عنها الأسلوبان:

هذا، وإذا كان كل أسلوب بياني يشف عن ذاتية وشخصية في المتكلم فمن وراء ذلك التفاوت العظيم في أسلوبي القرآن والحديث النبوي. من الوجهة البيانية يستشف القارىء والسامع تفاوتاً أعظم منه في هذه الذاتية التي ينبىء عنها الكلام.

فعندما تسمع القرآن تتجلى لك من خلال آياته ذاتية تتكلم من جو عُلُوّ وقوة، وسطوة، وقدرة، وحكمة ورحمة. وهذه الذاتية القوية العظمى التي تتجلى من وراء أسلوب القرآن لا تضعف حتى في المواطن التي تعبر فيها عن الرحمة، وإن قوتها واحدة في جميع سوره وآياته. فهي دائماً ذاتية جبارة قادرة منتقمة عادلة حكيمة رحيمة، آخذة بزمامين من الترغيب والترهيب، ذات سلطان مطلق.

فانظر وتصورها مثلاً من خلال نحو الآيات التالية:

﴿الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض﴾

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها، ففسقوا فيها، فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾.

﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾.

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

﴿أولَمْ يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، وكانوا أشد منهم قوة، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه كان عليماً قديراً. ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً﴾.

تتجلى في القرآن ذاتية لها سلطان مطلق، آخذة بالترغيب والترهيب

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾.

﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين. وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه: قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾.

أما الحديث النبوي فإنك تشعر من وراء أسلوبه بشخصية بشرية، وذاتية يعتريها الضعف والقوة، ولكن قوتها من لون آخر: ففيها ضعف الذات العاجزة أمام الصعوبات القاهرة تارة، وفيها قوة الثقة بالحق تارة أخرى. فكثيراً ما تشعر من أسلوب الحديث النبوي بشخصية تعتز بهذا الضعف الذاتي أمام الله، إلى جانب اعتزازها بقوة الأمانة والثقة بالحق. ففيها ضراعة البشر وتواضع الزهاد، إلى جانب حكمة العلماء وقوة المبلغين الأمناء. فانظر وتصور هذه الشخصية في لون قوتها من خلال قول الرسول عليه الصلاة والسلام لعمه أبي طالب حينما هددته قريش فنصحه بترك الدعوة.

«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وتصورها في شعورها بالضعف الذاتي من خلال الأدعية المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام في مناجاة ربه، كقوله بعدما خرج لدعوة ثقيف وعاد بالأذى والخذلان:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري. إن لم تكن ساخطاً عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تحلّ عليّ غضبك، أو تُنزل عليّ سخطك. لك العُتبىٰ حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وقوله: **«اللهم إني أسألك رحمة من عندك تَهْدي بها قلبي، وتجمع شملي، وتلمّ بها شعثي، وتردّ بها الفتن عني»**(٣).

ويقول السيد أحمد بن المبارك نقلاً عن شيخه عبدالعزيز الدباغ رحمهما الله تعالى في «الإبريز» في معرض بيان الفرق بين الحديث النبوي والقدسيّ وبين القرآن، بعد كلام طويل يحلل فيه الفرق من نواح روحية، ما نصُّه:

«وكل من له عقل، وأنصت للقرآن، ثم أنصت لغيره أدرك الفرق لا محالة. والصحابة رضي الله عنهم أعقل الناس، وما تركوا دينهم الذي كانت عليه الآباء إلا بما وضح من كلامه تعالى. ولو لم يكن عند النبي ﷺ إلا ما يشبه الأحاديث القدسية ما آمن من الناس أحد، ولكن الذي ظلت له الأعناق خاضعة هو القرآن العزيز الذي هو كلام الرب سبحانه وتعالى».

وهذا الكلام إنما يرمي إلى ما أوضحناه من تفاوت الأسلوبين تفاوتاً كلياً، وأن أسلوب القرآن بِدْعٌ مبتكر لا يشبهه شيء من كلام العرب. ثم قال الشيخ عبدالعزيز أيضاً -رحمه الله تعالى- بعد ذلك:

«كل من استمع القرآن، وأجرى معانيه على قلبه، علم علماً ضرورياً أنه كلام الرب سبحانه. فإن العظمة التي فيه، والسطوة التي عليه، ليست إلا عظمة الربوبية وسطوة الألوهية. والعاقل الكيس إذا استمع لكلام السلطان ثم استمع لكلام رعيته، وجد لكلام السلطان نَفَساً به يعرف؛ حتى إنا لو فرضناه أعمى وجاء إلى جماعة يتكلمون، والسلطان مغمور فيهم، وهم يتناوبون الكلام، لميز كلام السلطان من غيره بحيث لا تدخله في ذلك ريبة».

في لغة الحديث النبوي ذاتية تعتز بضعفها أمام قوة الخالق الجبّار

وهذا الكلام كأنما يعني به، رحمه الله ما سميناه اختلاف الشخصية التي تستشف من وراء الكلام.

وبعد، فهذه مقارنة بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث النبوي إنما نقصد بها الموازنة بين الأسلوبين من الناحية العربية البيانية فقط، وما توحي به من اختلاف الذاتية والشخصية مما يدل على اختلاف المصدر دون النظر إلى النواحي التي يذكرها العلماء والأدباء الباحثون في وجوه إعجاز القرآن المتعددة لأنها تخرج عن موضوعنا هنا.

الهوامش

(١) يفسر أهل اللغة والحديث الأحمر هنا بالأبيض من الناس، وجمعه (أحامر). أما الأحمر من الأشياء مراداً به ذو اللون الأحمر المعروف فجمعه: «حمر» بضم فسكون (انظر: النهاية لابن الأثير، ولسان العرب).

(٢) التعتع: الإكراه على الأمر حتى يقلق.

(٣) ر: «أقضية الرسول» للقرطبي ص/ ١٢٣.

خيول الفجر

أحمد محمود مبارك*

ألْقِ القصيدَ خيولُ الفجرِ تَنْطَلِقُ ... تشقُّ حِضْنَ الدُّجىٰ والنور يَنْدَفِقُ
ألْقِ القصيدَ ترانيماً مُطَهَّرةً ... وضِيئَةً من سنا الإسلامِ تَنْبَثِقُ
تَرْقَىٰ بإحساسنا، تنسابُ أجْنِحَةً ... تسمو بنا للعلا دوماً وتَسْتَبِقُ
فَقَدْ فَشَتْ في ربوعِ الشِّعْرِ مِنْ زَمَنٍ ... قصائدٌ حالكاتٌ عَمَّها الغَسَقُ
قصائدٌ حُقِنَتْ بالإثْمِ وانحدرتْ ... إلى سفوحِ الهوىٰ يقتادُها النَّزَقُ
لا تَحْجُبِ الشِّعْرَ عنَّا فالشرورُ طَغَتْ ... ألْقِ القصيدَ حروفُ الشَّرِّ تَنْسَحِقُ

* * *

لا تكترثْ بِمَن اغْتابوكَ يا ألَقاً ... إن الخفافيشَ يؤذي عَيْنَها الألَقُ
فَهُمْ سطورٌ من الظلماءِ قد نُسِجتْ ... وأنتَ شِعْرٌ سرىٰ في نَبْضِهِ الفَلَقُ
أطْلَقْتَهُ في خِضَمِّ الليلِ أشرعةً ... فيها النجاةُ لمن يجتاحُهُ الغَرَقُ
أشرعْتَهُ لقضايا أمةٍ وهنتْ ... وفي دِماها تمطَّىٰ السُّقْمُ والرَّهَقُ
بَثَثْتَه بَلْسَماً في عِرقِ عِلَّتِها ... لعلَّها من خيوطِ الوهْنِ تَنْعَتِقُ
وتَسْتَرِدُّ بسيفِ الصَّحْوِ صَحْوَتَها ... وتمتطي للذُّرى عَزْماً وتَنْطَلِقُ
فَشِعْرُكَ الحبُّ للإسلامِ تُشْرِعُهُ ... في وجْهِ مَنْ أضمروا حِقْداً ومَنْ مَرِقوا
وشِعْرُكَ النَّغَمُ السَّامي يُطَهِّرُنا ... دوماً ويسري بنا من روحِهِ عَبَقُ
فهل سَتُرْضِي ترانيمُ الضياءِ دُجىً؟ ... وهل يُحِسُّ بها وِجْدَانُ مَنْ فسقوا؟
وهل سيُصغِيها مَنْ قَدْ تَلَبَّسَهُمْ ... تضليلُ قَوْمٍ على الإسلامِ قد حَنِقوا؟
ألْقِ القصيدَ ولا يُفْزِعْكَ من جَحَدوا ... فَضلَ العروبةِ والإسلامِ واعتنقوا..
فكْراً مُضلاً وراحوا يرشقونكَ بالـ ... حِقْدِ الدَّفِينِ ولم يردَعْهُمُ خُلُقُ
فلن يُصيبَكَ من نيرانهم حَرَقٌ ... ولن يَضيرَكَ سَهْمٌ ليس يَخْتَرِقُ
لِسوف يمضي هباءً كلُّ ما نطقوا ... بهِ وتبقىٰ ضياءً ليس يَنْمَحِقُ
فإنَّما يذهبُ الفكْرُ الضليلُ سُدىً ... ويمكثُ النَّافعُ السَّامي، ويأتَلِقُ

(*) أديب مصري، فاز بالجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، ينشر شعره وقصصه ومقالاته في عدد من الدوريات العربية، وصدر له ديوانا شعر بعنوان «تداعيات»، و«في انتظار الشمس».

معارضات وموافقات

قال أبو الفتح البستي*:

زيادةُ المرءِ في دُنْياه نُقصانُ ... ورِبْحُهُ غيرَ محض الخير خُسرانُ

وكُل وِجدانِ حظٍّ لا ثباتَ لَهُ ... فإنَّ مَعناهُ في التَّحقيقِ فِقْدانُ (١)

يا عامِراً، لخَرابِ الدَّهرِ مُجتهِداً ... تاللهِ! هل لخَرابِ الدَّهرِ عُمرانُ (٢)

ويا حَريصاً على الأموالِ يَجمَعُها ... أنسِيتَ أنَّ سُرورَ المال أحزانُ (٣)

زَعِ الفؤادَ عنِ الدُّنيا وزُخْرُفِها ... فصَفْوُها كَدَرٌ، والوَصلُ هِجْرانُ (٤)

وأرْعِ سَمعَكَ أمثالاً أُفَصِّلُها ... كما يُفَصَّلُ يَاقوتٌ ومَرْجانُ (٥)

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِد قُلوبَهُمُ ... فطالَما استعبَدَ الإنسانَ إحسانُ

وإنْ أساءَ مُسيءٌ، فلْيَكُنْ لكَ في ... عُروضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وغُفرانُ (٦)

وكُنْ على الدَّهرِ مِعواناً لذي أمَلٍ ... يَرجو نَداكَ، فإنَّ الحُرَّ مِعْوانُ (٧)

واشدُدْ يَدَيْكَ بحَبلِ الدِّينِ مُعتَصِماً ... فإنَّهُ الرُّكْنُ، إنْ خانَتْكَ أركانُ (٨)

مَنْ يَتَّقِ اللهَ، يُحْمَدْ في عَواقِبِهِ ... وَيكفِهِ شَرَّ مَنْ عَزُّوا، ومَنْ هانُوا

مَنِ استعانَ بغَيرِ اللهِ في طَلَبٍ ... فإنَّ ناصِرَهُ عَجزٌ وخِذْلانُ

مَنْ كانَ للخَيرِ مَنّاعاً، فليسَ لَهُ ... على الحَقِيقَةِ إخوانٌ وأخْدانُ (٩)

مَنْ جادَ بالمالِ، مالَ النَّاسُ قاطِبَةً ... إلَيهِ، والمالُ للإنسانِ فَتّانُ

مَنْ سالَمَ النّاسَ، يسلَمْ من غوائِلِهِمْ ... وعاشَ وَهْوَ قَريرُ العَينِ جَذْلانُ (١٠)

مَنْ كانَ للعَقلِ سُلطانٌ عَلَيهِ غَدا ... وما على نَفسِهِ للحِرْصِ سُلطانُ

مَنْ مَدَّ طَرْفاً بفَرطِ الجَهلِ، نحوَ هَوىً ... أغضى على الحَقِّ يَوماً وهْوَ خَزْيانُ (١١)

مَنْ عاشَرَ النّاسَ لاقى مِنهُمُ نَصَباً ... لأنَّ سُوسَهُمُ بَغْيٌ وعُدْوانُ (١٢)

ومَنْ يُفَتِّشْ عنِ الإخوانِ، يقلِهِمُ ... فَجُلُّ إخْوانِ هَذا العَصرِ خَوّانُ (١٣)

منِ استشارَ صُروفَ الدَّهرِ قامَ لَهُ ... على حقيقةِ طَبعِ الدَّهرِ بُرهانُ (١٤)

(*) من ديوان البستي صفحة -٣٩٦- تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال- نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

مَنْ يَـــزْرَعِ الشَّرَّ يَحصُـــدْ في عـــواقبِـــهِ ... نَـــدامَـــةً، ولِحَصـــدِ الـــزَّرْعِ إتْـــانُ (١٥)

مَـنِ استَنَـــــامَ إلى الأشرارِ، نـــــامَ وفي ... قَميصـــــهِ، مِنهُمُ، صِلٌّ وثُعْبـــــانُ (١٦)

كُـــنْ رَيِّـقَ البِشْرِ، إنْ الحُرَّ هِمَّتُـــــــــه ... صَحيفَـــةٌ، وعَلَيهـــا البِشْرُ عُنْـــوانُ

ورافِـقِ الـــرِّفْقَ في كُـلِّ الأمـــورِ، فلَـمْ ... ينـــدَمْ رَفيـقٌ، ولم يـــذمُمْـــهُ إنســـانُ (١٧)

ولا يَغُـــرَّكَ حَـظٌّ جَـــرَّه خـــرقٌ ... فـــالخُرْقُ هَـــدمٌ، ورِفقُ المَرءِ بُنْيـــانُ (١٨)

أحسِـنْ، إذا كـــانَ إمكـــانٌ ومَقـــدِرَةٌ ... فلـن يَـــدومَ، على الإنســـانِ، إمكـــانُ (١٩)

والـــرَّوضُ يَـــزدانُ بـــالنَّـــوَّارِ فـــاغِمـــةً، ... والحُرُّ، بـــالأصلِ والإحســـانِ، يَـــزْدانُ (٢٠)

صُنْ حُـــرَّ وَجهِكَ، لا تَهتِكْ غـــلائلَـــهُ ... فكُـلُّ حُـــرٍّ لحُرِّ الـــوَجـــهِ، صَـــوّانُ (٢١)

وإنْ لقِيتَ عـــدُوّاً، فَـــالْقَـــهُ أبَـــداً ... والـــوَجـــهُ بـــالبِشْرِ والإشراقِ، غَضّـــانُ (٢٢)

دَعِ التكـــاسُـلَ في الخَيراتِ تطلُبُهـــا ... فليسَ يسعَـــدُ بـــالخَيراتِ، كَسْـــلانُ (٢٣)

لا ظِـلَّ للمَـــرءِ، يعـــرى من تُقىً ونُهىً ... وإن أظلَّتْـــــهُ أوراقٌ وأغصـــــانُ (٢٤)

فـــالنّـــاسُ أعـــوانُ مَنْ والَتْـــهُ دولَتُـــهُ ... وهُـمْ علَيـــهِ إذا عـــادَتْـــهُ، أعـــوانُ (٢٥)

سَحْبـــانُ من غَيرِ مـــالٍ، بـــاقِلٌ حَصِراً ... وبـــاقِـلٌ، في ثَـــراءِ المالِ، سَحْبـــانُ (٢٦)

لا تُـــودِعِ السِّرَّ وَشّـــاءً يبـــوحُ بـــهِ ... فما رعى غَنَماً في الـــدَّوِّ سِرْحـــانُ (٢٧)

لا تَحسِبِ النَّـــاسَ طَبْعـــاً واحِـــداً فَلهُمْ ... غـــرائزٌ لسْتَ تُحصِيهـــا وَأكْنـــانُ (٢٨)

مـــا كُلُّ مـــاءٍ كصَـــدّاءٍ لـــوارِدِه ... نَعَـمْ! ولا كُـلُّ نَبْتٍ فهـــو سَعْـــدانُ (٢٩)

لا تَخدِشَـنَّ بِمطْلٍ وَجْـــهَ عـــارِفَـــةٍ ... فـــالبِرُّ يَخدِشُـــهُ مَطْلٌ ولَيّـــانُ (٣٠)

لا تَستشِرْ غيرَ نَـــدْبٍ حـــازِمٍ يَقِـظٍ ... قـــدِ اسْتَـــوى مِنـــهُ إسْرارٌ وإعْـــلانُ (٣١)

فِللتـــدابيرِ فُـــرْسـانٌ إذا ركَضُـــوا ... فيهـــا، أبَـــرُّوا كما لِلحَـــربِ فُـــرْسـانُ (٣٢)

ولـــلأمـــورِ مَـــواقيتٌ مُقَـــدَّرَةٌ، ... وكُـلُّ أمـــرٍ، لـــهُ حَـــدٌّ ومِيـــزانُ (٣٣)

فـــلا تكُنْ عَجِـــلاً في الأمـــرِ تطلُبُـــه ... فليسَ يُحمَـــدُ، قبلَ النُّضْجِ، بُحْـــرانُ (٣٤)

كفى مِـنَ العيشِ مـــا قـــدْ سَـــدَّ من عَـــوَزٍ ... وفيـــه للحُـــرِّ قُنْيـــانٌ وغُنيـــانُ (٣٥)

وذو القَنـــاعَـــةِ راضٍ في مَعيشَتِـــهِ، ... وصـــاحبُ الحرْصِ، إنْ أثـــرى فَغَضْبـــانُ

حَسْبُ الفتى عقلُـــهُ خِـــلاًّ يُعـــاشِرُهُ ... إذا تحامـــاهُ إخـــوانٌ وخُـــلانُ

هُما رضيعـــا لِبـــانٍ: حِكمَـــةٌ وتُقىً، ... وســـاكِنـــا وَطَنٍ: مـــالٌ وطُغْيـــانُ (٣٦)

إذا نَبـــا بكـــريمٍ مـــوطِنٌ، فلَـــهُ، ... وراءهُ في بَسيـطِ الأرضِ أوطـــــانُ

يـــا نـــائِماً فَـــرِحـــاً بـــالعِـــزِّ ســـاعِـــدَهُ ... إنْ كُنتَ في سَنَـــةٍ، فـــالـــدَّهـــرُ يَقْظـــانُ (٣٧)

مـــا استَمْـــرأ الظُّلْمَ، لـــو أنصفْتَ آكِلُـــهُ ... وهلْ يلَـــذُّ مَـــذاقٌ، وهْـــوَ خُطْبـــانُ (٣٨)

يـــا أيُّها العَـــالِمُ المَرضِيُّ سيرَتُـــهُ، ... أبشِرْ، فـــأنـــتَ بغَيرِ الماءِ رَيّـــانُ

ويـــا أخَـــا الجَهلِ! قـــد أصبَحْتَ في لُجَجٍ، ... وأنتَ، مـــا بينَهـــا، لا شَـكَّ عَطْشـــانُ (٣٩)

لا تحسِبَـنَّ سُروراً دائماً أبَـــــــداً، ... مَـنْ سَرَّهُ زَمَنٌ، ســـاءتْـــهُ أزمـــانُ

يـا رافِـلاً في الشَّبـابِ الـوَحْفِ مُنتشِيـاً، مِنْ كأسِـه، هـلْ أصـابَ الـرُّشْـدَ نَشْـوانُ؟ (٤٠)
لا تَغتَرِرْ بشَبـابٍ وارِفٍ خَضِـلٍ، فكَـمْ تَقـدَّمَ قَبـلَ الشَّيْـبِ، شُبّـانُ (٤١)
ويـا أخَـا الشَّيبِ! لـو نـاصَحْتَ نفسَكَ، لم يكُـنْ لمثلِـكَ، في الإسرافِ، إمْعـانُ (٤٢)
هبِ الشَّبيبَـةَ تُبْلي عُـذرَ صـاحِبِهـا، مـا عُـذْرُ أشيَـبَ يَستهـويـهِ شَيْطـانُ!؟ (٤٣)
كُلُّ الـذُّنـوبِ، فإنَّ اللهَ يغفِـرُهـا إنْ شَيَّـعَ المَرءَ إخـلاصٌ وإيمانُ
وكُـلُّ كَسْرٍ فـإنَّ اللهَ يَجْبُرُهُ، ومـا لِكَسرِ قَنـاةِ الـدِّينِ، جُبرانُ (٤٤)
إذا جَفـاكَ خَليلٌ كنتَ تألَفُـهُ فـاطلُبْ سِـواهُ، فكُـلُّ النَّـاسِ إخـوانُ (٤٥)
وإن نَبَتْ بِـكَ أوطـانٌ نَشَـأتَ بها فـارحَلْ فكـلُّ بـلادِ اللهِ أوطـانُ
والصّـادِقُ البرُّ في الـدُّنيـا مُسَيْلمَـةٌ والأحْمَقُ الغـرُّ في النَّعْماءِ لُقمانُ (٤٦)
فـأكْيَسُ النّـاسِ مَـنْ في كيسِـهِ كِسَرٌ لا مَـنْ يُمَـدُّ لـه في الفَضلِ مَيْـدانُ
النّـاسُ هَضْـبٌ شِمامٌ حَيْـثُ مَيْسَرَةٌ لَكِنَّهُم حَيْـثُ مـالَ المالُ أغصـانُ
كُنّـا نـرى إنّما الإحسـانُ مَكْـرُمَـةٌ فـاليَـوْمَ مَـنْ لا يَضُرُّ النَّـاسَ مِحْسـانُ
خُـذْهـا سـوائِرَ أمثـالٍ مُهَـذَّبَـةٍ فيهـا لِمَنْ يَبْتَغي التِّبيـانَ تِبيـانُ (٤٧)
مـا ضَرّ حَسّـانَها، والطَّبعُ صـائِغُهـا، إنْ لم يقُلْهـا قَـريعُ الشِّعـرِ حَسّـانُ (٤٨)

* * *

وقال أبو البقاء الرندي*:

لكـل شيء إذا مـا تـم نُقْصَـانُ فـلا يُغَـرَّ بطيب العيش إنسـانُ
هـي الأمـور كما شـاهـدتها دُوَلٌ مَـنْ سره زمن سـاءتـه أزمـان
وهـذه الـدار لا تُبْقِي على أحـد ولا يـدوم على حـال لها شَـانُ
يمـزق الـدهـر حتماً كلَّ سـابغـة إذا نَبَتْ مشرفيّـاتٌ وخُـرْصـانُ (١)
وينتضي كـل سيف للفنـاء ولـو كـان ابن ذي يـزن والغمـد غمـدان
أيـن الملـوك ذوو التيجـان من يمـن وأيـن منهـم أكـاليـل وتيجـان
وأيـن مـا شـاده شَـدَّاد في إرم وأين مـا ساسـاه في الفـرس سَـاسَـانُ
وأيـن مـا حـازه قـارون من ذهب وأيـن عـاد وشـداد وقحطـان
أتـى على الكل أمـر لا مـرد لـه حتى قضـوا فكأن القـوم مـا كـانـوا
وصـار مـا كـان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ كما حكى عن خيـال الطيف وَسْنَـانُ
دار الـزمـانُ على دارا وقـاتِلِـهِ وأمَّ كسرى فما آواه إيـوان (٢)
كـأنما الصعبُ لم يسهـلْ لـه سببٌ يـومـاً ولا ملـك الـدنيـا سليمان

(*) من كتاب نفح الطيب للمقّري ٦/ ٢٣٢ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الكتاب العربي- بيروت.

فجائع الدهر أنواعٌ منوّعة ... وللزمان مَسَرّاتٌ وأحزان

وللحوادث سُلْوانٌ يسهِّلُها ... وما لِما حلَّ بالإسلام سُلوان

دهىٰ الجزيرةَ أمرٌ لا عزاءَ له ... هوى له أُحُدٌ وانهدَّ ثَهْلان (٣)

أصابها العينُ في الإسلام فارتزأتْ ... حتى خلت منه أقطارٌ وبلدان (٤)

فاسأل بَلَنْسِيَةً ما شأنُ مُرْسِيةٍ ... وأينَ شاطبةٌ أم أينَ جَيَّانُ

وأين قُرْطبةٌ دارُ العلوم، فكم ... من عالمٍ قد سما فيها له شان

وأين حِمْصٌ وما تحويه من نُزَهٍ ... ونهرُها العذب فيّاضٌ وملآنُ (٥)

قواعدُكُنَّ أركانَ البلادِ فما ... عسى البقاء إذا لم تَبْقَ أركان

تَبْكي الحنيفيَّةُ البيضاءُ من أسَفٍ ... كما بكىٰ لفراق الإلْفِ هَيْمَانُ

على ديارٍ من الإسلام خاليةٍ ... قد أقفرتْ ولها بالكفر عُمْرَانُ

حيثُ المساجدُ قد صارت كنائسَ ما ... فيهنَّ إلا ناقوسٌ وصُلْبانُ

حتى المحاريبُ تبكي وَهْيَ جامدةٌ ... حتى المنابرُ تَرْثي وَهْيَ عيدان

يا غافلاً وله في الدهر موعظةٌ ... إنْ كنتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يقظان

وماشياً مَرِحاً يُلْهيه موطنهُ ... أبعدَ حِمْصٍ تَغُرُّ المرءَ أوطانُ

تلكَ المصيبةُ أنْسَتْ ما تقدَّمَها ... وما لها مَعَ طولِ الدهرِ نسيان

يا راكبينَ عِتاقَ الخيل ضامرةً ... كأنَّها في مجال السَّبق عِقْبان

وحاملينَ سيوفَ الهندِ مُرْهَفةً ... كأنها في ظلام النَّقْعِ نيران (٦)

وراتعينَ وراءَ البحر في دَعَةٍ ... لَهُمْ بأوطانهمْ عِزٌّ وسلطان

أعندَكمْ نبأٌ مِنْ أهلِ أندلسٍ ... فقد سرىٰ بحديث القوم رُكْبَانُ

كم يستغيثُ بِنَا المستضعفون وَهُمْ ... قتلىٰ وأسرىٰ فما يهتزُّ إنسان (٧)

ماذا التَّقاطعُ في الإسلام بَيْنكُمُ ... وأنتمُ يا عبادَ الله إخوان

ألا نفوسٌ أبيَّاتٌ لها هِمَمٌ ... أما علىٰ الخير أنصارٌ وأعوان

يا مَنْ لِذلَّةِ قومٍ بعدَ عِزِّهمُ ... أحَالَ حالَهُمُ كُفْرٌ وطغيان

بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهمْ ... واليومَ هُمْ في بلاد الكفرِ عُبْدانُ

فلو تراهمْ حيارىٰ لا دليلَ لهم ... عليهمُ من ثياب الذلِّ ألوان

ولو رأيتَ بُكاهُمْ عندَ بَيْعهمُ ... لَهالَكَ الأمرُ واستهوَتْكَ أحزان

يا ربَّ أُمٍّ وطفلٍ حيلَ بينَهُما ... كما تَفَرَّقُ أرواحٌ وأبدان

وطفلةٍ مثلِ حُسْنِ الشمس إذ طَلعتْ ... كأنما هي ياقوتٌ ومَرْجانُ

يقودُها العِلْجُ للمكروه مُكْرِهَةً ... والعينُ باكيةٌ والقلبُ حَيْران

لمثلِ هذا يذوبُ القلبُ من كَمَدٍ ... إنْ كان في القلب إسلامٌ وإيمان

[انظر الهوامش في الصفحة التالية ←]

الهوامش:

(١) في التحقيق: كتبَ ناسخ خ في الهامش: «في بمعنى القسم».
(٢) الدهر (الأولى): العمر - ط، الدار - هامش خ- نثر النظم- طبقات الشافعية/ تالله: بالله- ط/ الدهر (الثانية): العمر- ع.
(٣) يجمعها: تجمعها -دائرة معارف البستاني/ أنسيت أن: أقصر فان - طبقات الشافعية.
(٤) زع: زغ-ع، دع- حياة الحيوان- طبقات الشافعية - وفي هامش خ: «الوزع: الكف».
(٥) وأرع: وادع -الكشكول- دائرة معارف البستاني، وارع-ع، وارعى -طبقات الشافعية/ سمعك: بسمعك -طبقات الشافعية/ أفصلها: أبينها في نظام كما ينظم الجوهري حبات الياقوت والمرجان.
(٦) زلته: ذلته - حياة الحيوان/ عروض زلته: ظهورها.
(٧) لذي: على- ع.
(٨) واشدد يديك بحبل الدين: فاشدد بحبل الله -طبقات الشافعية.
(٩) على: عند -دائرة معارف البستاني- حياة الحيوان/ أخدان: ج خدن، وهو الصاحب والحبيب(للمذكر والمؤنث).
(١٠) الشطر الثاني: فجل إخوان هذا العصر خوان-ع/ الغوائل: ج غائلة، الفساد والشر.
(١١) هوى: فتى -خ- ط/ على: عن -دائرة معارف البستاني- حياة الحيوان/ خزيان: من خزي، إذا هلك أو وقع في بلية وشر وافتضح، فذل بذلك وهان.
(١٢) سوسهم: بضم السين الثانية في خ، طبعهم -دائرة معارف البستاني/ حياة الحيوان، أخلاقهم -الكشكول/ نصبا: تعبا/ سوسهم: كتب ناسخ خ في الهامش: «السوس والتوس: الطبيعة، يقال هو من توسه وسوسه، أي أصل خلقته». وفي تاج العروس: «قال اللحياني: وفلان من سوس صدق وتوس صدق أي: من أصل صدق» (مادة سوس).
(١٣) عن: على -حياة الحيوان/ يقلهم: مجتهداً -حياة الحيوان- دائرة معارف البستاني/ يقلهم: يبغضهم ويكرههم.
(١٤) الدهر (الأولى): العقل -خ/ صروف الدهر: نوائبه وحدثانه.
(١٥) الزوع: الشر -الكشكول/ إبان: أوان وفي هامش خ: «الإبان بالكسر: الوقت».
(١٦) الصل: الحية من أخبث الحيات.
(١٧) ورافق: من رافق -حياة الحيوان/ إنسان: ندمان -خ-ط-ع، وكتب ناسخ خ في الهامش: «إنسان» وفوقها «صح» مؤكداً على صحتها.
(١٨) يغرك: يغرنك -ع- نثر النظم/ الخرق: الجهل والحمق.
(١٩) فلن: فلا -دائرة معارف البستاني -حياة الحيوان/ الإنسان: الإحسان -ع- نثر النظم/ مقدرة: ضبطت في خ بضم الدال، ويصح فيها الحركات الثلاث، ومعناها: القدرة.
(٢٠) بالنوار: بالأنوار -ع- حياة الحيوان- دائرة معارف البستاني/ بالأصل: بالعدل -حياة الحيوان- دائرة معارف البستاني/ يزدان: ورد في هامش خ: «يزين ويزدان بمعنى»/ النوار: الأزهار/ فاغمة: من فغم النور، إذا تفتح.
(٢١) غلائله: غلالته -دائرة معارف البستاني- حياة الحيوان/ حر وجهك: ماء وجهك/ تهتك: تخرق الستر/ غلائله: ج غلالة، وهي ثوب رقيق يلبس تحت الدثار.
(٢٢) غضان: غفان -ط، غصان- نثر النظم/ غضان: طري بالبشر غير متصلب بالتجهم.
(٢٣) تطلبها: تقبلها -ط.
(٢٤) يعرى: يغني -دائرة معارف البستاني- حياة الحيوان، أحرى -الكشكول/ من: عن -حياة الحيوان- دائرة معارف البستاني/ ونهى: ورضا- حياة الحيوان/ أوراق: أفنان -حياة الحيوان- نثر النظم/ نهى: ج نهية وهي العقل.
(٢٥) فالناس: والناس -نثر النظم- طبقات الشافعية/ والته، عادته: واتته، خانته - طبقات الشافعية.
(٢٦) من: في -خ/ حصراً: حصر -دائرة معارف البستاني-الكشكول- حياة الحيوان/ في: من -معاهد التنصيص/ سحبان: رجل من وائل مشهور بفصاحته وبلاغته، يضرب به المثل، فيقال: «أخطب من سحبان وائل». خطب في صلح حبين شطر يوم، فما أعاد كلمة (الميداني ١/ ٢٤٩، والمستقصى في الأمثال١ / ٢٨) باقل: رجل من إياد يضرب به المثل في العي، فيقال: أعيا من باقل».
(٢٧) يبوح به: به مذلاً -ن- دائرة معارف البستاني- نثر النظم/ وشاء: من وشى، إذا نم وسعى/ الدو: كتب ناسخ خ في الهامش بشرحها: «المفازة»، وهي الفلاة الواسعة/ سرحان: ذئب.
(٢٨) لست: وليست -ن/ تحصيها: تدريها-ط-ع- تحصيهن- ن/ وأكنان -ألوان- ن، وألوان -دائرة معارف البستاني -الكشكول- حياة الحيوان/ أكنان: ج كن، ما استتر في النفوس.
(٢٩) لوارده نعم: لشاربه كلا -نثر النظم- الذخيرة/ صدآء: ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها، أو هي عين ماء عذبة، أو بئر، وفي المثل: «ماء ولا كصدآء» / سعدان: نبت ذو شوك، وهو من أنجع المراعي، وفي المثل: «مرعى ولا كالسعدان»، يضرب مثلاً للشيء يفضل على أقرانه.
(٣٠) وليان: ولبان -ع/ عارفة: إحسان/ الليان: الحبس والإعراض.
(٣١) يقظ: فطن -دائرة معارف البستاني- حياة الحيوان/ استوى: استوت-ط.
(٣٢) فللتدابير: وللتدابير -نثر النظم/ أبروا: غلبوا.
(٣٣) وللأمور: فللأمور -حكماء الإسلام.
(٣٤) في الأمر، قبل: بالأمر، بعد اليتيمة/ بحران: التغير الذي يحدث فجأة في الأمراض الحمية الحادة.
(٣٥) عوز: رمق -حياة الحيوان/ وفيه، قنيان وغنيان: ففيه، إن حققت غنيان -دائرة معارف البستاني -حياة الحيوان/ للحر: للمرء -ط/ قنيان: ما يقتنى من مال أو غيره.
(٣٦) أصل البيت: الحكمة والتقى هما رضيعا لبان، أي أخوان رضعا من أم واحدة فلا ينفك أحدهما عن الآخر، وكذلك المال والطغيان هما ساكنا وطن.
(٣٧) يا ناثماً: يا ظالماً -الكشكول- نثر النظم- طبقات الشافعية- دائرة معارف البستاني- حياة الحيوان/ بالعز: بالسعد -طبقات الشافعية-/ السنة: الغفوة.
(٣٨) خطبان: كتب الناسخ في هامش خ: «الخطبان: الحنظل إذا صار له خطوط وأخطب الحنظل: أي صار خطباناً، وهو أن يصغر ويصير فيه خطوط خضرة» وحينئذ يكون شديد المرارة.
(٣٩) قد: لو -حياة الحيوان- الكشكول- حكماء الإسلام/ وأنت: فأنت- المصادر السابقة/ عطشان: ظمآن - هامش خ رواية ثانية - المصادر السابقة/ لجج: ج لجة، معظم البحر وتردد أمواجه.
(٤٠) الوحف: الرحب -دائرة معارف البستاني- حياة الحيوان/ والوحف: الشعر الكثير الأسود الحسن، النبات الريان، والمراد بالشباب الوحف: ذو الحسن والوضاءة/ منتشياً: من انتشى، بدأ سكره، والاسم نشوان.
(٤١) وارف: ناعم -دائرة معارف البستاني- حياة الحيوان، رائق -طبقات الشافعية/ الشيب: ضبطت في ن بكسر الشين ولعله أفضل/ عيش خضل: ناعم طيب.
(٤٢) الإسراف: الإسرار -ط، اللذات- طبقات الشافعية.
(٤٣) تبلي: تبدي -دائرة معارف البستاني- نثر النظم- حياة الحيوان- طبقات الشافعية/ ما عذر أشيب: ما بال شيبك - حياة الحيوان.
(٤٤) الله: الدين -نثر النظم/ يجبره: يجبرها-خ.
(٤٥) البيتان التاليان زيادة من الكشكول ج١ ص٣١٦ و لم يردا في ع.
(٤٦) الأبيات الأربعة التالية زيادة من روح الروح ص٣٣٩ / ولم ترد في ع.
(٤٧) سوائر: سرائر -حياة الحيوان.
(٤٨) إن: أن -حياة الحيوان- دائرة معارف البستاني- الكشكول/ قريع: سيد/ حسان: هو ابن ثابت الأنصاري شاعر الرسول (ﷺ) من الشعراء المخضرمين.

* * *

(١) السابغة: الدروع، والمشرفيات: السيوف، ونبوها: الا تصيب الضربة، والخرصان: أراد بها الرماح.
(٢) قاتل دارا هو الإسكندر الأكبر.
(٣) أحد وثهلان: جبلان.
(٤) في أ «أصابها العين في الإسلام فامتحنت».
(٥) حمص: اسم إشبيلية، سميت بذلك لأن الفاتحين من أهل حمص الشام نزلوها.
(٦) النقع: غبار المعركة.
(٧) في أصل أ «كم يستغيث بنو المستضعفين وهم -إلخ».

مرتحاة

محمد زيـدان*

مـــاضٍ إليـك تهزني أرجـــائي ... وتحوطني في محنتي أنـــوائي

مـــاضٍ إليك وكل خطـــويَ واجفٌ ... وبـــابك ارتجفتْ هُنـــا أعضـــائي

والنـــور يـأخـــذني فأطفىء شقـوتي ... في سجـــدةٍ ريّـــانـــة وضيـــاءِ

أجتـــاز نفسيَ والظنـــون ومـــا بـــدَا ... من كـل رجسٍ فـــاحشٍ وخَـــواءِ

وأحطُّ قلبي في رحـــابك خـــاضعـــاً ... متـــوثِّبَ الخطـــوات والأصـــداءِ

إنْ تستبـــدَّ بيَ الحيـــاة تصـــوُّراً ... يخضَلُّ بـــالـــريّ النمير سِقـــائي

غطىٰ طـــريقي بـــالسَّنـــا فأتيتـــهُ ... وجعلتُ روحي في رضـــاهُ دوائي

أظمأتُها عـن كل غَيْرِكَ شـــاهـــراً ... بينَ الـــدُّنـــا زادي وذاك رجـــائي

وسمـــــوتُ مـن نُعماك بينَ سرائري ... واخترت نـــــور المؤمنين ردائي

مـاضٍ إليك أسـوق شـوقَ قصيـدتي ... نجماً يُضيء الـــــدّرْبَ في الظلماءِ

فـالشعـــر راحلتي وفيضُ خـــواطـري ... مَهْمَا تنـــامتْ في الـــورى أرزائي

والحرف نـــورٌ في جنـــابـك يـــرتـــدي ... ثـــوبَ المحبّ وفـــرحـــة الآلاءِ

مـــاضٍ إليك على جنـــاح مطـــامحي ... وجـــوارحي في غَمْـــرَةِ النَّعْمَاءِ

(*) شاعر مصري، ينشر شعره في عدد من الدوريات العربية.

أنا ابنك، يا بوسنة

للشاعر / جمال الدين لاتيش*

ترجمة الأستاذ / حسين عمر باهيتش

إلى عرشِ الله العظيم
ترتفعُ نداءاتُ المساجدِ،
هذه أناشيدُ وطني
تعانقُ الغاباتِ والمراعِي
محبوبةٌ قاسيةٌ وصلبة
بوسنة فوق دِماءِ الشهداء
أحفظك مثلَ نورِ العينين
لأنني ابنُك يا بوسنة!
هناك على ضفاف أُونَا[1] شذراتُ ذهب
وفوق الدّرينا[2] شروقٌ أزرق
في تِيريتْوا[3] تغفو الشمسُ
وفي السَهولِ يتلألأ (صَاوَه)[4]
محبوبةٌ قاسيةٌ وصلبة
بوسنة فوق دِماءِ الشهداء
أحفظك مثلَ نورِ العينين
لأنني ابنُك يا بوسنة!
إن هاجَم عدوّ الله حصونَكِ
أو هدموا قبور الشهداء القديمة
فسينتفض في وجهه شهداءُ أبطال
ليريقوا دماءهم من أجلِ ربُى البوسنة
محبوبةٌ قاسيةٌ وصلبة
بوسنة فوق دِماءِ الشهداء
أحفظك مثلَ نورِ العينين
لأنني ابنُك يا بوسنة!
لأنني ابنك يا وطني!

(*) شاعر وصحفي من البوسنة، رئيس تحرير «صوت المسلمين، حصل على الماجستير من جامعة سراييفو، وكانت رسالته في «الإعجاز القرآني».
(١) أونَا: نهر يقع غَرْبيَّ البوسنة.
(٢) دريْنَا: نهر يقع شرقي البوسنة، على حدودها مع صربيا، وهو رمز المجازر والأحزان وسفك دماء المسلمين.
(٣) تِيريتْوا: نهر ينبع جنوب سراييفو ويشق الهرسك من وسطها ويصب في البحر الأدرياتيكي.
(٤) نهر في شمال البوسنة ويفصلها عن كرواتيا.